المقدمة

قسّم العلماء أجناس البشر إلى ما يأتي:

١ - الجنس السامي المنسوب إلى سام بن نوح وهم في الأغلب سكان آسيا.

٢ - الجنس الحامي المنسوب إلى حام بن نوح ومعظمهم سكان أفريقيا.

٣ - الجنس الآري وهم في آسيا وأوربا.

٤ - الجنس المغولي والجنس الأصفر وهم سكان شرق آسيا كالصين واليابان والأتراك في آسيا الصغري.

٥ - الجنس الزنجي وهم سكان غرب أفريقيا وأوسطها وجنوبها وهو بيت قصيدنا في هذا الكتاب. فكيف نشأ هذا الجنس ومن أين نشأ؟

وللإجابة على هذين السؤالين نقول:

أولاً: يذهب الطبيعيون إلى أن الإنسان الأول انحدر من القرد ثم تهذب بالتدرج حتي ارتقى إلى البرزخ المسمى باورنغوتنغ ثم وصل مراتب الزنوج ومن هناك عرج بعض أفراده إلى **أفق أعلى فكان الإنسان القوقاسي**.

وقد استدلوا على ذلك بتحول الأشياء بعضها إلى بعض كتحول الجماد إلى النبات وإلى الحيوان.

وإن الأشياء تنشأ سافلة ثم تتدرج وترتقي على ما يسمونه بالنشوء والارتقاء.

وهم بهذا يزعمون أن الجنس الأسود هو الجنس البدائي للبشر وأما غيره فهو الجنس الراقي.

والصحيح الذي عليه المحققون هو أن الإنسان أصل قائم بنفسه غير متحول إلى نوع مثله وما اختلاف لونه إلا آية من آيات الله تعالي وهذا هو الذي يتفق مع القرآن القائل: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨] والقائل في أنواع البشر في اختلاف ألسنتكم وألوانكم لآيات لقوم يتفكرون.

ثانيًا: ينسب بعض المؤرخين الجنس الأسود إلى حام نسبة لا أساس لها من الصحة وقد رد على هذا الوهم الباطل العلامة ابن خلدون وقال[1]:

وقد توهم بعض النسابين ممن لا علم لديه بطبائع الكائنات أن السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا بلون السواد لدعوة كانت عليه من أبيه ظهر أثرها في لونه وفيما جعل الله من الرق في عقبه وينقلون في ذلك حكاية من خرافات القصاص ودعاء نوح على ابنه حام قد وقع في التوراة وليس فيه ذكر السواد وإنما دعا عليه أن يكون ولده عبيداً لأخوته لا غير.

وفي القول بنسبة السواد إلى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد وأثرهما في الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات وذلك لأن هذا اللون شمل أهل الأقليم الأول والثاني من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب فإن الشمس تسامت رؤوسهم مرتين في كل سنة قريبة إحداهما للأخري فتطول

(١) المقدمة: ص٧١.

المسامتة عامة الفصول فيكثر الضوء لأجلها ويحل القيظ الشديد عليهم وتسود جلودهم لإفراط الحر إلى أن قال :

ويسمي سكان الجنوب من الإقليمين الأول والثاني باسم الحبشة والزنج والسودان اسماء مترادفة على الأمم المتغيرة بالسواد وإن كان اسم الحبشة مختصًا منهم بمن تجاه مكة واليمن والزنج بمن تجاه بحر الهند وليست هذه الأسماء لهم من أجل انتسابهم إلى آدمي اسود ولا حام ولا غيره بل إن اللون تابع لمزاج الهواء كما قال الحكيم ابن سينا :

بالزنج حر غيّر الأجسادا حتي كسا جلودها سوادا

والصقلب اكتسبت البياضا حتي غدت جلودها بياضا

●●●